المحددات العائلية لانتحار المراهق

Family determinants of adolescent suicide

Les déterminants familiaux du suicide chez l'adolescent

عميور مراد[1]*، شلبي محمد[2]

تاريخ الإرسال: 2024/11/22 تاريخ القبول: 2024/12/19 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

تهدف الدراسة إلى فهم الدوافع العائلية المؤدية لانتحار المراهق الجزائري من منظور المقاربة النسقية الأسرية، باعتبار العائلة نظامًا معقدًا يتأثر بعوامل كالسُلطة، النسب، وصراع الأدوار. تتزامن هذه العوامل مع تعقيدات مرحلة المراهقة من هوية وجسد وجنس، مما يكشف عن خصوصية الأسرة الجزائرية التي عانت تغيرات عميقة كالتفكك التربوي وانهيار البُنى الأبوية .

أظهرت النتائج أن انتحار المراهق يرتبط بخلل في وظائف الأسرة، حيث أصبح الإرث الرمزي غير قابل للتجسيد، وتهمّشت الوظيفة الأبوية، مما أدى لانهيار السلطة الأبوية وظهور صراعات الأدوار وضعف الحدود داخل الأسرة. هذه الاختلالات أسهمت في ظواهر مؤلمة كحالات الانتحار. استخدمت الدراسة المنهج النسقي عبر أدوات مثل المقابلة النسقية ورسم الجينوغرام للإجابة على هذه المشكلة

الكلمات المفتاحية: المحددات العائلية؛ المراهق؛ الانتحار؛ النسق الأسري.

Abstract:

This study aims to explore the family-related factors driving adolescent suicide in Algeria from a systemic family perspective, viewing the family as a complex system influenced by authority, lineage, and role conflicts. These dynamics intersect with the challenges of adolescence, including identity, physical, and sexual development. The study highlights the Algerian family's unique context, shaped by educational decline, the collapse of patriarchal structures, and rejection of family belonging.

Findings reveal that adolescent suicide stems from family dysfunction, where symbolic lineage inheritance becomes unacceptable, and parental roles are marginalized. This leads to weakened paternal authority, role conflicts, and blurred boundaries, contributing to painful phenomena like suicide. The research employed systemic methods, including systemic interviews and genogram mapping, to address this issue.

Keywords: Family determinants; Adolescent; Suicide; Family system.

*المؤلف المراسل: عميور مراد

[1] AMIOUR Mourad, University of Constantine 2, Algeria, morad.psycho@yahoo.fr
[2] CHELBI Mohamed, University of Constantine 2, Algeria, mohammed.chelbi@univ-constantine2.dz

Résumé :

Cette étude vise à examiner les facteurs familiaux à l'origine du suicide des adolescents en Algérie à travers une approche systémique familiale. La famille est perçue comme un système complexe influencé par l'autorité, la filiation et les conflits de rôles, en interaction avec les défis de l'adolescence liés à l'identité, au corps et à la sexualité. L'étude souligne le contexte particulier de la famille algérienne, marqué par le déclin éducatif, l'effondrement des structures patriarcales et le rejet de l'appartenance familiale.

Les résultats montrent que le suicide adolescent est lié à un dysfonctionnement familial. L'héritage symbolique devient inacceptable, les rôles parentaux sont marginalisés, ce qui affaiblit l'autorité paternelle, provoque des conflits de rôles et des limites floues, entraînant des phénomènes douloureux comme le suicide.

Mots-clés : Déterminants familiaux ; Adolescence ; le Suicide ; Système familial.

مقدمة

يعد انتحار المراهق من الظواهر الإنسانية المعقدة والمقلقة في المجتمعات الحديثة، حيث لا يمكن حصره في مجرد إحصائيات جامدة، إذ يمثل ضياع أرواح شابة مفعمة بالحياة، وانهيارًا مؤلما لمكونات أسر بأكملها، اذ يترك انتحار المراهق جروحًا عميقة يصعب شفاؤها أو معالجتها بسهولة، يواجه أفراد الأسرة خلالها مشاعر متناقضة مثل: الحيرة، الإنكار، الشعور بالندم، الإحساس بالغربة، الاشمئزاز، العداء، الشفقة....الخ مما يعقد عملية التعامل مع هذه الفاجعة، و يولد تجاذب وجداني ممتد يرافقه صدمة نفسية وحتمية صياغة عمل حداد صعب و مستحيل أحيانا، حيث يوصف الحداد بعد انتحار أحد أفراد العائلة على انه متعب و مرهق نفسيا، ذلك لأن المجتمع يرفض الفعل الانتحاري، و يحتقر عائلة المنتحر، مما قد يؤدي إلى تصدع عميق في العلاقات الأسرية الرمزية و الفعلية. (De broca, 2001, p. 95)

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أبعاد هذه المعضلة المتشابكة، خصوصا العوامل العائلية المحددة لانتحار المراهق، ويهدف إلى استكشاف خصوصية الميل الانتحاري أثناء مرحلة المراهقة ضمن عائلات توصف بأنها مضطربة، حيث أن اختلال التوظيف العائلي في هذه الحالة يوصم بالمزمن، ويتميز بانعدام الاستقرار ويفتقر إلى الأمن النفسي والتواصل التفاعلي الرمزي.

بالتطرق الى مصطلحات الأساسية للبحث نجد أن الانتحار يعرف بصفه عامة على أنه قتل متعمد للنفس بوعي أو بدون وعي منه بمعنى انتحر ينتحر انتحارا فهو منتحر أي قتل الرجل نفسه. هذا المفهوم يكتنفه الكثير من التشعب و يرتبط بعدة مصطلحات أخرى فرعية تبلورت عبر الأبحاث المستمرة في هذا المجال، كالأزمة الانتحارية، النزعة الانتحارية، المحاولة الانتحارية، السلوكيات الانتحارية، الفكر الانتحاري.....الخ كما لابد أن يفهم الانتحار في السياق الزمني الراهن، والثقافة السائدة التي أعطته القالب المتشكل فيه.

النسق العائلي هو مفهوم يشير إلى مجموعة من العلاقات والعمليات التفاعلية بين أفراد الأسرة، حيث يشكلون نظامًا متكاملًا يعمل بطريقة مترابطة، يتضمن النسق العائلي; الأدوار، القيم، الأنماط السلوكية، والتفاعلات التي تحدد كيفية تواصل الأفراد مع بعضهم البعض وكيفية تفاعلهم مع البيئة المحيطة بهم، و يجب النظر إلى النسق العائلي ككل متكامل بدلاً من التركيز على الأفراد بشكل منفصل.

لطالما سجلت حالات انتحار عديدة في إطار العائلة على فترات زمنيه تطورت مع تطور الأسرة نفسها، والتي خرجت من إطارها التقليدي ودورها الأساسي الفعال، خصوصا أمام الوضعيات الأساسية للنمو والمراهقة، التي تعتبر مرحلة

هشاشة، ينتقل فيها الطفل من الجسد الطفولي إلى الجسد الجنسي، إنها بمثابة ولادة جديدة عبر مخاض عسير، إذ يمكن أن تمثل صدمة قوية داخل النسق العائلي، مما يؤدي إلى انهيار بينية العائلة و تفككها.

في إطار هذه الدراسة سنتطرق إلى أهم المحددات العائلية، و التي تدفع المراهق للانتحار عبر استدعاء الجانب النظري و البحث فيه، ثم عبر التقرب إلى عائلة انتحرت ابنتهم في سن المراهقة، عبر عرض ملاحظة نسقية و منه ماهي المحددات العائلية التي تدفع المراهق للانتحار؟

1. المقاربات الأساسية لانتحار المراهق

هناك عدة مقاربات نظرية، تحاول تشريح ظاهرة الانتحار، خصوصا عند المراهق، سنستعرض أهم التوجهات النظرية الحديثة المفسرة لهذه الظاهرة.

1.1 المقاربة الاجتماعية

من منظور اجتماعي، في كتابه " الانتحار: دراسة في السيسيولوجيا "، قسم دوركايم الانتحار إلى أنواع مختلفة بناءً على السياقات الاجتماعية التي يحدث فيها، وقد صنف الانتحار إلى أربعة أنواع:

- الانتحار الأناني و يحدث عندما يشعر الفرد بالعزلة أو الاغتراب عن المجتمع.
- الانتحار الإيثاري و يحدث عندما يكون الفرد شديد الارتباط بالمجتمع.
- الانتحار الفوضوي و يحدث بسبب فقدان القواعد أو التوجيهات الاجتماعية.
- الانتحار القدري و يحدث عندما يشعر الفرد بأنه محاصر أو مكبوت في ظل ظروف قاسية.

كما يشير دوركايم أن الانتحار ظاهرة اجتماعية، تتباين تبعا لمجموعة من المتغيرات وهي:

1. خصوصية الجغرافيا للمجتمع الذي نعيش فيه (البعد المكاني).
2. الخصوصية الاجتماعية.
3. الخصوصية الزمنية و سياق الفعل (البعد الزماني).
4. خصوصية الجماعات الأساسية المختلفة (العائلة و المدرسة....).
5. الإطار الديني و الأنثروبولوجي المؤطر للانتحار. (الرشود، 2006، صفحة 33)

2.1 المقاربة النفسية المرضية

تركز نظرية الطب العقلي المفسرة للانتحار، على اعتبار الانتحار ظاهرة ناتجة عن الاضطرابات العقلية والاختلالات البيولوجية في الدماغ، و تسعى هذه النظرية إلى ربط السلوك الانتحاري بالتغيرات البيوكيميائية، والعوامل الوراثية، والجوانب النفسية العصبية حيث تلعب الاختلالات المتواصلة في النواقل العصبية مثل السيروتونين و الدوبامين، دورًا في اضطرابات

المزاج، الاكتئاب، والسلوكيات العنيفة المرتبطة بالانتحار، أظهرت الدراسات التصويرية الحديثة للدماغ، أن الأشخاص الذين يعانون من مشكلات في السيطرة على أفعالهم قد يظهرون تشوهات هيكلية في مناطق معينة من الدماغ، مثل القشرة الأمامية المسؤولة عن اتخاذ القرارات والتحكم في الانفعالات، واللوزة الدماغية المرتبطة بالمشاعر والعواطف.

يمكن التطرق إلى علم الأعراض المفسر للانتحار، عبر اتجاهين هما: الأول يعتبر أن الانتحار يشكل جوهرا مرضيا فريدا، يسببه جملة من الاضطرابات النفسية، و الثاني يرى أنه عرض مرضي ضمن مرض أي أنه لا يفهم وحده ككيان خاص، بل يجب الاضطلاع بالحياة النفسية و العقلية للمنتحر، حتى نفهم بالضبط أي العوامل تؤثر بقوة في المرور نحو الفعل، وذلك ينطبق على اضطرابات المزاج ، إذ يصبح الانتحار هو نتيجة حتمية لذلك. (Neuburger, 2011, p. 61)

3.1 المقاربة النسقية العائلية

المقاربة النسقية العائلية للانتحار، تعتبر الانتحار ظاهرة ناتجة عن أنماط ديناميكية داخل الأسرة والنظام العائلي ككل، تنظر هذه النظرية إلى الأسرة كوحدة نظامية متكاملة، تؤثر فيها العلاقات والأدوار المتبادلة بين أفرادها على سلوك كل فرد، وبالتالي يعتبر الانتحار ليس فقط ناتجًا عن عوامل فردية، بل عن سياق نسقي معقد يتضمن التفاعلات والأنماط داخل النظام العائلي.

عسر الاشتغال العائلي هو مفهوم يشير إلى وجود خلل أو اضطراب في كيفية عمل النظام العائلي كوحدة متكاملة، يُقصد به وجود صعوبات أو عدم كفاءة في الأداء الوظيفي للأدوار المختلفة داخل الأسرة، مما يؤدي إلى اختلال التوازن والتواصل داخل العائلة، هذا العسر قد ينجم عن عدة عوامل مثل الصراعات المستمرة، ضعف التواصل، عدم وضوح الأدوار.

المريض المعين و الذي قد يكافئ المراهق المنتحر هو مصطلح يُستخدم في العلاج النفسي الأسري، والعلاج النسقي لوصف الفرد الذي يظهر عليه أعراض الاضطراب، أو المشكلة النفسية داخل الأسرة وينظر الى "المريض" الذي يحتاج للعلاج على أنه يعبر عن اضطراب أو خلل في النظام العائلي بأكمله، وليس بالضرورة أن تكون المشكلة تخصه وحده، بل هي انعكاس لصراع أو اختلال في العلاقات والتفاعلات الأسرية. (Watzlawick, 1979, p. 105)

2- المنهجية

يمكن تعريف نظرية الأنساق بأنها علم يتميز بالشمولية، مما يجعلها قابلة للتطبيق في مجالات متعددة، يُعتبر المنهج النسقي منهجًا علميًا حديثًا نسبيًا، ويعتمد على استخدام التجريد كأداة بحثية أساسية، كما يتطلب بناء النماذج للتعامل مع المتغيرات المتعددة في إطار التحليل النسقي، هذا المنهج ظهر بشكل واضح في علم الاقتصاد من خلال تحليل الجداول

الاقتصادية، وكذلك في علم الاجتماع السياسي عبر تحليل جداول المدخلات والمخرجات، في علم النفس عبر التحليل النفسي النسقي و العلاج العائلي.

تم استعمال المقابلة النسقية العائلية التي هي أداة تشخيصية واستكشافية، تُستخدم لدراسة العلاقات والديناميكيات داخل الأسرة، الهدف الرئيسي منها هو فهم الأنماط التفاعلية والتواصلية بين أفراد الأسرة، واكتشاف التأثيرات المتبادلة التي قد تكون لها دور في الصعوبات النفسية أو العاطفية، التي يعاني منها أحد الأفراد أو الأسرة ككل.

و استعملت أداة الجينوغرام، وهو أداة تُستخدم في العلاج الأسري وعلم النفس النسقي لرسم خريطة العلاقات العائلية عبر الأجيال، بهدف تحليل وفهم الديناميكيات النفسية، العاطفية، والاجتماعية داخل الأسرة، يتكون الجينوغرام من الهيكل العائلي، العلاقات العاطفية، الأحداث الحياتية الأساسية، الأنماط الموروثة، أو خصائص النفسية العائلية للنسب.

3- المحددات العائلية لانتحار المراهق

مرور المراهق نحو الفعل الانتحاري لا يُعتبر حدثًا عرضيًا، أو نتيجة لتجمع عوامل منفصلة، بل هو نتاج معقد لسياقات متكاملة، تتفاعل مع بعضها البعض لتشكل وحدته الأساسية، ضمن نسق محدد، في هذا السياق يعتبر تأثير النظام العائلي الأكثر بروزًا ووضوحًا، نظرًا لأهميته في تشكيل السلوك الانتحاري عند المراهق.

يتفق العديد من الباحثين الذين درسوا مشكلات الانتحار خلال المراهقة، على أن التحولات النفسية والجسدية المرتبطة بالبلوغ، يمكن أن تعزز اللجوء إلى الفعل الانتحاري، ويؤكد هؤلاء على الحساسية الشديدة للمراهقين تجاه مشكلة الفقدان العائلي، التي لا مفر من مواجهتها و التي قد تتضمن معاني السلطة، و صياغة الأدوار، و إنشاء الروابط الانتمائية بين الأجيال ، بالإضافة إلى الفقدان الفعلي، كالوفيات أو الهجرة أو دخول احد الوالدين إلى السجن .....

ويشير الباحثون في كثير من الأحيان إلى مفهوم التماهي كإعادة تشكيل الهوية التي تتكون عبر مراحل زمنية معقدة خلال المراهقة؛ يفشل المراهق المنتحر نسبيا في اجتياز المرحلة الثانية من الانفصال والتفرد ، و التي تستند إلى تفعيل قوي للتماهيات العائلية خصوصا السلطة و الأدوار والعلاقة العابرة للأجيال، هذه التماهيات تعتبر عامل مميز في الأبحاث التي أجرها كثير الباحثين على عدد كبير من المراهقين الذين حاولوا الانتحار، واستخلصوا صعوبة استيعاب مسألة الحدود الجلية، التي تتضمن العلاقة مع الكيان الأبوي والموقف السلبي تجاه الإرث العائلي ككل. (Théry, 1996, p. 122)

تؤثر الديناميكيات الأسرية بشكل كبير على عوامل حدوث السلوك الانتحاري، ومن ضمن هذه العوامل تأتي جودة العلاقات الشخصية بين أفراد الأسرة ومستوى التواصل العاطفي داخلها، فغالبًا ما تولد الأسر غير المتماسكة ضغطًا نفسيًا واجتماعيًا شديدًا على المراهقين الذين لديهم حساسية للتوتر العائلي، مما يؤدي إلى تغيرات في إدراكهم للصراع الممتد، ويزيد من التحريفات الإدراكية السلبية المؤذية للانتحار. (Pommereau, 2016, p. 73)

يشير مفهوم الأنظمة العائلية إلى فكرة "الأنا العائلي"، والتي تشير إلى مجموع العمليات التي تحدث داخل كيان الأسرة وتؤسس لوظائفها الرمزية والتفاعلية. يتساءل "Alberto Eiguer" المعالج الأسري ذو التوجه النفسي التحليلي، عن مفهوم "نحن" الذي يتعلق بالهوية المشتركة لأعضاء الأسرة الواحدة، والذي يتقاطع مع مفهوم "الجسد الأسري" الذي يتناول مختلف الأبعاد المشاركة في العلاقة التبادلية بين أفراد الأسرة، ويناقش الأماكن الرمزية التي يشغلونها، بالنسبة له قوة الأسرة تكمن في قدرتها على بناء جماعة، حيث تكون الخطوط التخيلية والرمزية عديدة ومتشابكة، مما يخلق شبكة بينية ذاتية تسهم في بناء هذا "نحن" او الانا العائلي. (De Singly, 1993, p. 93)

تظهر المحددات العائلية ضعفها عندما يستدعي المراهق جميع طاقاته التدميرية ويستهدف جسده، نحن أمام هجوم على الرموز السلطوية الأبوية التي تشكل عالم المراهق الشخصي والعائلي، تعكس هذه المعاناة العلائقية رغبة المراهق في التواصل مع الأجيال السابقة لإثبات أصالة الألم، تحت مفهوم الولاء مما يزيد من تصلب الانظمة العائلية ليظهر العرض الأسري و الذي يحمل مفهوم الصلح، فالمراهق لا ينتحر بحثًا عن الألم، بل يسعى لتقليله، ومع ذلك فإن الانتحار يمثل انسلاخًا عن اليأس والوحدة والعزلة، وحلا تكيفيا سلبيا. (Le Breton, 2002, p. 56)

عائلة المراهق المنتحر تتميز بضعف أو غياب التفاعلات الرمزية، والاتصالات العلائقية اللفظية المباشرة و غير لفظية، مما يترجم هشاشة كمية و نوعية، قد تولد نزعات تذميرية نحو الذات، والذي يوصم بالمشوه أو الذات المزيفة بمفهوم وينكوت، و يمكن استعارة أعمال بروسي حول الحالات الحدية الانتحارية، إذ يصفهم بمرض السريرة، أو التوظيف بالمظهر، ويقصد بذلك ضعف استثمار الفضاء النفسي الداخلي، و يظهر عبر العجز عن البقاء وحيدا، التبعية و الشراهة الادمانية، والحاجة إلى السند، و كل ذلك ذو فائدة تكيفية ضمن القطب الاكتئابي. (Brusset, 1999, p. 55)

يلاحظ أيضًا أن عائلات المراهقين الذين يظهرون ميولاً انتحارية تميل إلى اكتئاب جماعي، قد يتطور إلى حاد ومزمن، ويتجلى ذلك في الصمت داخل العلاقات الأسرية وتراجع الحيوية و الليونة في النظام العائلي، وازدراء المراهق ضمن مفهوم الأم السامة أو العائلة السامة، يتجمد التواصل وتنغلق قنوات الحوار، مما يؤدي إلى ردود فعل خطيرة بهدف إعادة صياغة النسق العائلي و الذي يعاني من عسر الاشتغال. (Apter, 2013, p. 55)

أن عائلة المراهق المنتحر تتميز بحداد مرضي، يعاش ضمن الحاجة إلى العقاب، و إلى الإحساس بالذنب من حيث أن أفراد نفس العائلة يكررون اللوم في حلقة مفرغة لا نهاية لها، كما يمكن تواجد سوابق انتحارية، و أمراض نفسية في الأجيال السابقة تعبر عبر عدة ميكانيزمات الى المراهقين ضمن مفهوم الخرافة العائلية. (Chabrol, 2004, p. 56)

المراهق المنتحر يعاني من ألم صامت ومعاناة عائلية صاخبة، حيث تلعب الهوية التأسيسية العائلية دورًا حاسمًا في تحديد الأفعال الانتحارية، غير ان التغيرات العميقة التي تشهدها الأسرة و التي تتميز بزوال رمزية الأب وانهيار سلطته الفعلية

والرمزية، مما خلق فراغًا سلطويًا حاد دون تمثيلات بديلة مشبعة واضحة، رفض السلطة الابوية وإنكارها يتطور إلى حالة نبذ حقيقية. (Arènes, 1999, p. 75)

يشير جاك لاكان، الذي يرى أن للأب له وظائف أساسية تتضمن مايلي:

- الوظيفة الحقيقية: حيث يكون الأب هو المصدر الوحيد للسلطة ويحدد ملامحها.
- الوظيفة الرمزية: تسهم سلطة الأب في بناء صور وتمثيلات خيالية أساسية، مما يدعم تكوين العلاقات مع المواضيع، وخاصة في العلاقة الأولية وما يرتبط بها من مراحل.

الوظيفة الرمزية للأب تُعد الأكثر أهمية، إذ تترك أثرًا على الضوابط الحياتية والجنسية والعلاقات الاجتماعية، تحدد هذه الوظيفة مفاهيم عميقة مثل الاضطهاد، الألم، القبول، والانتظار، باعتبار الأب حاملًا للقانون، فإنه يمثل العنصر الأساسي الذي يجب أن يتمفصل مع رغبات الطفل، حتى يتمكن في النهاية من تقمص السلطة الأبوية بشكل كامل، هذا يمثل عملية تشكيل الأب بامتياز. (Winnicott, 2005, p. 77)

مصطلح " désautrisé " أي لا سلطة، بمعنى مسح صورة الأب و إسقاط كل الشحنة العدوانية الممكنة على ظرف الأبوة، مما يجعل السلطة الأبوية معطلة أو مزيفة، و لا تحمل إي دلالات ممكنة، فوظيفة الأب تتشكل من خلال العلاقات الديناميكية التي تربط الأسرة ككل، و التي تحدد دوره الأبوي عندما يقوم بقية أفراد العائلة بالاستثمار فيه كأب من خلال طريقة تعاملهم معه، ومعاملتهم له، والاعتماد عليه في الأوقات المناسبة، تقوم هذه الديناميكية بين أفراد العائلة بتحديد ما إذا كان الأب يستجيب لهذا الاستثمار ويتكيف معه أم لا. (Eiguer A. , 2004, p. 56)

إن قصور السلطة له نفس تأثير الحرمان العاطفي المبكر للطفولة، بحكم أن العلاقات العائلية و الاجتماعية تبنى على الحد الأمثل من السلطة و الخضوع، و تتوزع فيها الأدوار الفردية و الجماعية حسب خصوصية كل عائلة، ضمن هذا الطرح يشير مصطلح "parentification" إلى تقمص المراهق لأحد أدوار الوالدين، بالرغم من عدم قدرته المعنوية و العاطفية، و حتى الجسدية لتحمل تبعات هذه السلطة المنبثقة عن هذه الادوار، مما قد يغير من ديناميكية السياقات العائلية و يضعها ضمن خطر غموض الادوار العائلية.

نبذ سلطة الأب يؤسس لما اسمه الخلق الذاتي، أي إنشاء خصائص نفسية بعيدة عن التقمصات العائلية، فيها رفض تام و عميق لمظاهر السلطة الأبوية، خصوصا الصور الرمزية الناتجة عنها، و ابتداع صور تقمصيه بديلة من عدة مصادر ليست بالضرورة عائلية لكنها، في نفس الوقت ليست تعويضية ولكنها مؤقتة مما يزيد من قيمة الكلفة النفسية، انها تبذير وحشي لطاقات الوجود البشري، رغم زيف الاستقرار النفسي لهؤلاء المراهقين لكنهم معرضين لخطر الانتحار بصورة دائمة. (Duret, 2004, p. 123)

يُعد النسب تعريفًا رمزيًا للصفات الجسدية، النفسية، العقلية، والوجدانية للفرد فهو لا يرتبط بالوراثة البيولوجية فحسب، بل يشمل الخصائص النفسية والعاطفية المتوارثة عبر الأجيال، يُساهم الإرث العائلي، المكوّن من عناصر مرئية وغير مرئية، في بناء الانتماء الضروري لتشكيل شخصيات متقاطعة داخل هيكل عائلي محدد، يشير مفهوم" رفض النسب " إلى عدم كفاءة العائلة في الحفاظ على مقوماتها وخصائصها، مما يؤدي إلى ضعف التقمصات، وانهيار الرغبة في الانتماء لنمط عائلي محدد، يمكن أن يظهر هذا في رفض العادات والتقاليد العائلية، سواء في ما يتعلق بالزواج، العمل، السفر، أو حتى أسلوب العيش. أشار الباحثون إلى أن هذا الفراغ يؤدي إلى اضطراب العلاقة بين أفراد العائلة، ما يخلق غموضًا وتلاشيًا للحدود التي تربطهم، ويُعتبر ذلك عنصرًا حاسمًا في انتحار المراهق. (Eiguer A. , 2010, p. 96)

تؤدي التوترات العائلية الصادمة إلى تفكيك عميق للعلاقات بين مختلف مستويات النسب، إلى درجة تُدمر فيها المرجعيات الرمزية، والسجل المتعلق بالإرث العائلي المعترف به، تم استكشاف هذا المجال من الأبحاث السريرية، وقد أظهر وجود اضطراب يقوم على مشكلة تتابع الأجيال، وجمعه تحت اسم"الذهان الانتسابي ". لا تقتصر تعبيرات هذه الإشكاليات على مجال الأمراض النفسية، بل تمتد أيضًا إلى الشذوذات النفسية الموروثة، وأسرار العائلة، والأمور غير المعلنة في التاريخ الفردي والعائلي المتعلقة بأحداث تُعتبر "رمزية" لكنها مصيرية، لأنها تُفكك روابط الانتماء و الانتساب بين الأجيال، كما تفكك الأفكار في النفخات الهذيانية المزمنة انه بمثابة تشويه ذهاني للواقع الأسري.

في مرحلة المراهقة، يمكن أن ترتبط القضايا المتعلقة بالصدمات (تكرار الصدمة من خلال الاضطرابات السلوكية) بهذه التوترات القاتلة في الأجيال السابقة، إلى درجة أن الروابط بين الآباء والأبناء تتشكل ضمن مجمع صدمة وراثية إشارة إلى وجود صدمات، لم يتم استيعابها أو تجاوزها لدى الآباء والأجداد، هذه الأحداث تستثير أسرار العائلة، وتشكيلات داخلية معقدة تؤدي إلى تكرار مسار الشخصيات الصادمة، من خلال سلوكياتهم السلبية (مثل السلوكيات المتطرفة، والجروح الذاتية، والإدمان، الانتحار...)، يبرز المراهقون الطابع الجاذب لهذه الروابط الإنتسابية بشكل غير مباشر، مما يؤدي إلى تفكيك هذه النوى الصادمة غير المتجانسة بهدف انتاج السلوك الانتحاري. (Drieu, 2016, p. 19).

يمكن معالجة أسس هذه الفرضية من خلال تمييز ثلاثة توجهات منطقيات للنسب العائلي:

1. النسب المؤسساتي: هذه هي الوراثة التي تتعلق بنقل الاسم و معانيه القانونية و الاجتماعية و المادية، وعلاقة الأفراد بالآخرين كما تحددها الأشكال الجماعية كما، تتعلق هذه الأمور بالعادات والقوانين، الطقوس السارية في مجتمع معين، أنه بمثابة النسب الثقافي.
2. النسب النزوي: تعبر عن الربط بين جسم الأم وجسم الطفل، إنها علاقة استمرارية تنبع منها كمية وكيفية النزوات، فضلاً عن تمثيلات الأوهام البدائية التي تربط الطفل بالصورة الأمومية.

3. النسب النرجسي: تحتل هذه المنطقية مكانة وسطية، تُفترض أن تتجاوز التناقضات بين الوراثة الجسدية الحقيقية ووراثة النسب المعترف به بشكل رمزي، هذه المحاور الخيالية للوراثة الانتسابية تُغذّيها أوهام إعادة إنتاج "المماثلة"، والتوالد العذري أي محاولة التميز بصفات لا علاقة لها بالعائلة، والتوأمة مع مراهقين من نفس السن، على العكس، فإن تضخم هذه العلاقة يؤدي إلى ظهور اضطرابات في النسب، ليس فقط في الازمنة التي توجد فيها نقائص في سجل النسب المعترف به، ولكن أيضًا على نفس السلالة، أحداث متكررة لها تأثيرات صادمة تحت مفهوم السر العائلي تدفع بالمراهق إلى إعادة إنتاجها كما هي. (Guyotat, 1994, p. 8)

المراهق بوصفه "مُدمّر للداخل النفسي" في محاولة لموازنة بين التغيرات الجسدية والنفسية المعقدة، قد يرفض الانتقال إلى جسده الجديد المزود بالجنسية، مما يخلق قلقًا وجوديًا مرتبطًا بفقدان الانتماء والهوية السابقة، و ظهور وضع الاغتراب الصامت، هذا الرفض يفتح المجال لمخاطر انتقالية مميتة، حيث تفقد الوظيفة الجسدية دورها في الترميز النفسي، لان الاستخدام المفرط للجسد سببه عملية طرد للصراع النفسي، ولكن أيضًا عملية دفاعية لحفظ الهوية هشة، يعرض المراهق نفسه لخطر الاختفاء إلى الأبد، كثيرًا ما نسمع بعد محاولة انتحار خطيرة تهدد الحياة وتستدعي عدة أسابيع من العناية المركزة: "لقد فعلت ذلك لأشعر بتحسن، لأعود للحياة. (Jeammet, 1994, p. 108)

فكرة التدمير الفجائي للذات، تكافئ الرغبة في التغيير حتى لو كانت تساوي الانتحار، تنبع من معاناة صامتة تفتقر إلى تمثيلات كلامية ورمزية كافية، في النموذج العائلي الجديد تشكل الخلية العائلية المثالية ملجأ يحمي من التقلّبات المؤلمة للحياة الاجتماعية، لكن لما تصبح هناك استمرارية واستقرار في العلاقات العائلية لدرجة تمنع أي صدامات جانبية ضرورية للنمو النفسي للمراهق، يصبح السؤال هو هل الآباء قادرون على تحمل الدور الاحتوائي تجاه استكشافات المراهق لحدود العائلة؟ عندما تكون الوظيفة الأبوية في أزمة، ويُعاد النظر في مكانة الابوة الرمزية، وتصبح عملية استيعاب الاختلاف بين الأجيال بالنسبة لهم مستحيلة، بالتالي يصبح تقديم حدود ومعايير يمكن تحملها وتوفر الأمان أمرًا غير ممكن، في هذه الحالة يشعر المراهق بالارتباك ، فيُضعف وسائل السلطة والانتساب، لذلك كلما اختلت الروابط العائلية، زادت صعوبة العثور على نقاط عائلية مرجعية للمراهق، اختفاء الرمزي للأجيال من فكر المراهق التأسيسي يجعل تحديد موقع كل فرد في التشكيلة العائلية أمرًا صعب و معقد. (Gutton, 2002, p. 25)

عدم النضج العاطفي يقوض استقرار العائلة، ويعزز استثمار الطفل كموضوع للرغبات العاطفية والنرجسية ضمن ثنائية وظيفية معطلة، هؤلاء المراهقون يُنظر إليهم ليس لما هم عليه، ولكن لما يمثلونه داخل الفضاء العائلي، المراهق الذي يعاني من هوامات مميتة لا يمكن تحملها حول التملك، قد لا يجد مفرًا سوى توجيه الضرر إلى جسده للتخلص من هذا الشيء الذي يتملكه.

دلالات الفعل الانتحاري لا تقتصر بالأعراض، و المشاكل السلوكية، والسياق العام للأحداث الآنية لأنها بمثابة الوضع المفجر، الذي و يستدعي إشكالية عميقة في الوسط العائلي، والنظام التفاعلي العام، حيث يسود الإحساس بالهجر و الفقدان مع طغيان الصرعات العلائقية، يقدم هنا الفعل الانتحاري الاستعارة الفعلية لتعقيدات الوضع المعاش. أصبح استخدام مصطلح "السلوكيات الفعلية" شائعا اليوم، و يُقصد بذلك أن التفكير يتعرض لنوع من الانقطاع المؤقت بسبب الحاح الفعل العنيف، حيث يعبر الفعل عن وسيلة لتفريغ الدوافع النفسية، مما يلغي إمكانية الارصان المؤقت. يُشار أحيانًا إلى نقص في القدرة على التعقيل "الفكر العقلي"، حيث يتم استبدال الصراع بالفعل الانتحاري، وتوصف هذه السلوكيات بأنها اندفاعية وعنيفة (انفجار مفاجئ، أزمة)، حيث تتجاوز الحدود وتستهدف تهدئة فورية. (Pommereau, 2016, p. 103)

اللاشعور العائلي وهو مفهوم يمثل السياقات التي تفسر التفاعلات المعقدة داخل المسكن العائلي، باعتباره يمثل السجل التاريخي لكل الأحداث الوفيات، ولادات جديدة، الطلاق، أو الزواج، النجاحات الدراسية، حالات الانتحار، الهروب من المنزل، و الادمان....الخ و التي لا يمكن القبض عليها إلا عبر تفحص التاريخ العائلي، ما يسمى بالنماذج العابرة للأجيال، و التي تحفز عديد الظواهر النفسية المعقدة منها الانتحار، بل تقدم له تغذية رجعية متواصلة و مكثفة ليصبح ضمن مفهوم الدين في الظرف النسقي الملائم. (Eiguer A. , 2010, p. 58)

تندرج السلطة العائلية كتمثيلات هدفها إنتاج الفضاء المشترك، لتمرير النماذج الاسرية تحت مسميات الإرث العائلي لتشجيع النسب و الانتماء، لكنه في بعض الأحيان يقابله المراهق بإنكار شديد، في هذا المعنى يتم التكلم عن النسب البديل، و يمثل هذا تحولا عميقا في خطوط الأبوة الأفقية و العمودية، و حدود الانتقال بين الأجيال، فالمراهق يريد نماذجا تأسيسية جديدة تلبي حاجاته النفسية، لم تعد العائلة مكانا لنقل النسب، الذي تحملها الذاكرة الجليلة لقد فقد الآباء وظيفتهم الوصائية لفائدة السير الذاتية، إذ أصبح المراهق ينبذ كل قواعد أسرته، و خصوصيتها المتنوعة و الممتدة عبر الزمان و الفضاء المنزلي، لأن حدود المنزل تحدد أيضًا حدود نمط حياة العائلة، و هنا نشير إلى مصطلح الاستحواذ العائلي المرافق لمعاني السلطة و طرق ضبطها داخل الفضاء المنزلي، يشير هذا اللاوعي إلى خلل في أربعة وظائف رئيسية:

1. الاحتواء: ضيق الفضاء الرمزي والمادي المشترك بين أفراد العائلة.
2. التقمص: غياب قواسم مشتركة تعزز العلاقات والسلطة داخل الأسرة.
3. الاستمرارية التاريخية: انفصال اللاوعي العائلي عن التاريخ والحوادث المهمة مثل الزواج، الولادة، أو الوفاة.
4. الإبداع: يحفز على استنباط أفكار وصور جديدة مستمدة من التمثيلات الأصلية المتصلة بالمنزل، إعادة انتاجها ضمن قدرة العائلة على التكيف، واكتساب معاني رمزية جديدة تعكس صحتها النفسية.

5. جمالية المنزل: المنزل هو الفضاء الذي يسمح لنا بالإبداع والتعبير عن ذاتنا الفنية، بينما نبقى قريبين من حياتنا الشخصية سيكون أكثر إرضاءً وراحة لنا. (Eiguer A. , 2004, p. 23)

الانتحار عند المراهق هو دعوة غير معلنة للمساعدة، وليس رغبة حقيقية في الموت، فهو يعكس تشوهًا خطيرًا في التواصل بين المراهق وعائلته، توجد في هذه الأسر قواعد غير معلنة، ضمن السر العائلي، تمنع افراد العائلة من التعبير عن احتياجاتهم بسلاسة، حيث ان الأسر التي تضم مراهقين انتحاريين، تنقل العديد من الرسائل المزدوجة، ويوصف الآباء على انهم غير ثابتين في مطالبهم من المراهق، مما يترك له ارتباك في السيطرة على بيئته الجديدة التي تحتاج إلى ارصان التعبير عن العداء، وانعدام الثقة من قبل الآباء مما ينتج شعور المراهق بالانفصال عن بقية العائلة، و يعرضه خطر الانتحار. (Chabrol, 2004, p. 89)

تعاني الأسر "المنتحرة" من مشاكل واخفاق متكرر في أداء الأدوار العائلية المنوطة بها، ترمز هذه الإخفاقات إلى الحفاظ على استقرار النظام الأسري، من خلال الانغلاق على الذات العائلية، وعزل النسق عن البيئة المحيطة به، في هذا السياق يُنظر إلى السلوك الانتحاري للمراهق على أنه استراتيجية تهدف إلى الحفاظ على تكامل النظام الأسري، وحمايته من الانهيار لأنه في مواجهة حدة الضغط النفسي المتصاعد. إن اختلال النسيج التفاعلي للعلاقات الأسرية، والأدوار المخصصة لكل فرد من أفراد الأسرة، لن يسمح بتطوير"مطلق العلاقات" أو"القصة التأسيسية"، أو ما يسميه "العامل الزائد" في النظام الأسري، الذي سيساهم في بناء هويته، إحدى الوظائف الأساسية للأسرة هي توفير"تربة عاطفية" للتطور الجيلي حيث تمتلك خاصية التأطير. (Todd, 2011, p. 89)

4- انتحار المراهق في المجتمع المغاربي

لقد أتاح العمل الذي قام به بن إسماعيل، إعادة بناء تصورات جديدة حول قضية الانتحار في الجزائر، موضحًا أن هناك اختلافا بين محاولة الانتحار والفعل الانتحاري، و بين ما يصطلح عليه السلوكيات المكافئة للانتحار، و إلى ضرورة تميز المنتحر الجزائري عن المنتحر الغربي نظرا لخصوصية الثقافة المغاربية التي ينتمي إليها، إذ يُنظر إلى الانتحار في المجتمع الجزائري على أنه ظاهرة مرفوضة من الناحيتين الاجتماعية والدينية، مما يدفع العائلات إلى إخفاء انتحار ابنائهم والامتناع عن الإفصاح عنه، ونتيجة لذلك تعاني الإحصائيات المتعلقة بالانتحار من نقص كبير"، وتعمق من صعوبة الدراسة العلمية الممنهجة لهذا الموضوع، لقد لاحظ بن اسماعيل 1993 في ابحاثه حول الانتحار بالجزائر العناصر الاتية;

- بروز عامل التحول المجتمعي، و خروج المرأة إلى العمل، والانتقال من العائلة الاكناتية كما وصفها مصطفى بتفنوشت، أو العائلة البطريقية إلى العائلة الزواجية الحديثة، و التي من أهم خصائصها فك الارتباط مع المرجعية التاريخية أي الأجداد.

- ارتفاع نسب الانتحار عند الفتيات أقل من 25 سنة، اعتبارا لما تعانيه المرأة آنذاك من صعوبات عائلية و اجتماعية، و خروجها التدريجي نحو التعليم و العمل، ما يسمى بالمرأة العصرية، إذ أن الرغبة في الوصول إلى وضع عادل للمرأة، يكون مصحوبا في أغلب الأحيان بعثرات و أخطاء في إدراك الدور الجديد حيث يتميز بالضعف، أو غير كاف، أو يتم استيعابه بشكل سطحي، كرد فعل يتجلى في التردد أو العداء المعلن، من هذا النموذج الأنثوي في الأسرة التي لا تزال مشبعة بالمرجعيات القديمة.

- انخفاض الانتحار عند فئة المسنين، إذ توصف بالمنعدمة لما تحمله هده الفئة من قدسية، يجعلها في مأمن من الانتحار، و يمنحها امتياز التأطير و القدوة.

- نقص الانتحار في المؤسسات الاستشفائية، أو الاصلاحية بصفة عامة مقارنة بالدول الغربية الصناعية.

- غياب الانتحار في شهر رمضان المعظم، ملاحظة جد خاصة و متميزة لدى المجتمع الجزائري، لأن هذا الشهر يحمل خصوصية، دينية توطد فيها العلاقات الأسرية، و المسؤولية المجتمعية، نفس الملاحظة قدمها دوركايم، في بحوثه الاساسية حول الانتحار، أنه كلما توطدت العلاقات الاجتماعية و العائلية بين أفراد الجماعات كلما نقص خطر الانتحار. (Bensmaïl.B, 1991, p. 55)

- ارتفاع الانتحار لدى فئة الشباب حيث أن معظم المحاولات الانتحارية، 80% شباب، و 40% منهم يعانون من أمراض ذهانية حادة، مع بروز مقلق لظاهرة الانتحار عند المراهق، خصص البروفيسور بن اسماعيل فصلا كاملا للمراهقة في المجتمع المغاربي، فالمراهق الجزائري يعاني من الانزعاج الوجودي، و صعوبات في ارصان الهوية، بالإضافة إلى التسرب المدرسي، مما يمدد المراهقة و يجعلها فترة صعبة خصوصا تباعد سن الزواج، و البطالة، و ازمة السكن بسبب التعقيدات الاقتصادية، في هذا السياق يشير م بوسبسي إلى أن الزواج المبكر في المجتمع المغاربي، هو وسيلة للسيطرة على البلوغ والجنس. (Boucebci, 1978, p. 33).

يتكلم بن اسماعيل عن القلق الحاد، و الاضطراب النفسي المعرف بأعراض جسدية حادة، فالجسد دائم الحضور بقطبه النرجسي، إذ يشير إلى أن الحالات الخاصة بالاضطرابات تظهر توظيف نرجسي عالي التكثيف، كما تظهر على المراهق أعراض هذيانية تشبه البارنويا، مع شك مفرط و معارضة عنيفة، و ادعاء المعرفة، و رجاحة الفكر، لكن تطور هذا الهذيان الاضطهادي يوصف بالعابر، إلى أنه يولد حالة من الهشاشة النفسية، تضع المراهق في خطر محذق من السلوكيات الإدمانية و الانتحارية. (Bensmaïl, 1994, p. 91)

أكدت فاطمة المرنيسي أن العائلة المغاربية الحديثة تعاني من "الصمم العائلي"، حيث تتجاهل نداءات أبنائها حين يعانون، و تفتقر إلى التضامن المطلوب أمام تحولات توصف بالجذرية، خصوصا ضمن العائلة ، إذ أن كل تغيير يطرأ على

نظام الزواج و القرابة يؤدي إلى تحولات اجتماعية عميقة، في كتابها الجنس كهندسة اجتماعية تكلمت عن وضع المراهق المغاربي، إذ وصفته بالمقموع في جميع نواحي الحياة الاجتماعية و العائلية ...الخ، و أن مرحلة البلوغ في المجتمع المغاربي تتميز بالغموض والخوف، مما يزيد من الضغط على المراهقين وقد يدفعهم إلى سلوكيات انتحارية. (المرنيسي.فاطمة.، 2005، صفحة 123)

من جانبه تحدث مصطفى بوتفنوشت، عن التغيرات البنيوية في العائلة الجزائرية، مشيرًا إلى انقطاع التأطير العائلي يؤثر على الأجيال الجديدة، هذه التغييرات درسها بإسهاب في كتابه حول التغير الاجتماعي، و أشار إلى أن التحول العميق في العائلة مس جميع جوانبها، لكن بدرجات متفاوتة، لأنه ليس هناك نمط تغيير متزامن، في حين وصف مالك شبل الظواهر الهامشية في المجتمع الجزائري خصوصا المسكوت عنها، مؤكدًا أن الانتحار قد يرتبط بأزمات الهوية والانفصال عن الجسد، و بتراكم حدة السلوكيات الهامشية و تحولها الى دوافع عنيفة. (Boutefnouchet, 2004, p. 95)

في عام 1969، أجرى بن خلفاة دراسة في مستشفى وهران الجامعي، حول تزايد حالات التسمم بين المرضى الذين يترددون يوميًا على قسم الطوارئ، أظهرت دراسته أن معظم هذه الحالات كانت محاولات انتحار، توصل الباحث إلى أن الظروف الاجتماعية، والنفسية، و العائلية، كانت رئيسية في حدوث الانتحار في الوسط الجزائري، كما تكلم عن أن محاولات الانتحار كانت في سن المراهقة، توصف هذه المحاولات على أنها تحدي للعائلة، و المجتمع بصفة عامة لكنها بمثابة إجابة على التناقض الذي يعيشه الشاب، بين حياته العائلية والاجتماعية، وهو تناقض ناتج عن التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري. (BenKhalfat, 1969, p. 100)

أن المجتمع الجزائري، بتعدد لهجاته اللغوية، يواجه موضوع الانتحار باعتباره من المحرمات، و التابوهات المعقدة التي تشمل أبعادًا أخلاقية، سياسية ودينية، مما يخلق حالة من الصمت والضبابية حول الموضوع، هذا يفسر لماذا حتى اللهجات المحلية أو الوطنية لا تمتلك كلمة خاصة تصف فعل الانتحار، حيث يتم التعبير عنه بعبارات غير مباشرة مثل "شنق نفسه" أو "قتل نفسه" أو "شربت السم"، ونظراً لهذه العوامل و غيرها، لا يمكن الاعتماد بشكل كافٍ على الإحصاءات والمصادر الوثائقية المتعلقة بحالات الانتحار عند المراهق، وغالباً ما تكون شهادات العائلات، أو شهود العيان نادرة، أو متخيلة ، أو تأتي في شكل سرد مقتضب بعد وقوع الحادثة. (Chachoua, 2008, p. 22)

ذكر فريد كاشا أن الانتحار ليس ظاهرة هامشية معزولة، لكن الأرقام معتدلة مقارنة بالدول الأخرى، لدينا رقم حكومي معلن، يتراوح بين 3 إلى 4 حالات انتحار لكل 100 ألف نسمة، مما يعادل حوالي 1500 حالة وفاة بالانتحار سنويًا، ومع ذلك فإن محاولات الانتحار أكثر انتشارًا وتؤثر بشكل أكبر على المراهقين، اذ انه غالبًا ما يكون السلوك الانتحاري علامة على رغبة في الحياة وتقليل المعاناة، ولا يعني دائمًا وجود رغبة عميقة في الموت، ولكن لماذا نجد صعوبة

في الحديث عن هذا الموضوع؟ لأن الانتحار يُعتبر أولاً وقبل كل شيء إهانة موجهة إلى الله، وأيضًا اعتداء شديد على الأسرة والمجتمع والنظام السياسي، ولكن كما هو الحال مع كل سلوك بشري عنيف و مؤلم، الحقيقة أكثر تعقيدًا بكثير مما تبدو عليه في الارقام. (Kacha, 2021, p. 32)

الروابط الاجتماعية والأسرية تشكل حاجزًا ضد الانتحار، فالمجتمع الجزائري يعيش حاليًا مرحلة متقدمة من التفكك، تتجاوز قدرة الأنظمة المؤسسية والحكومية على الاستيعاب، وتوصلت دراسة كاشا فريد، إلى أن الانتحار يُعد واحدًا من بين ثلاثة أسباب رئيسية للوفاة بين الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و44 عامًا، وأن نسبة الذكور المنتحرين تفوق الإناث، كما كشفت الدراسة أن 75% ممن أقدموا على الانتحار، سبق لهم أن أفصحوا عن رغبتهم في القيام بذلك، مما يتعارض مع الاعتقاد السائد بأن المنتحر لا يصرح بنيته مسبقًا. (Boudarène, 2005, p. 112)

مشروع بحث "محاولة الانتحار بوهران" تحت إشراف الأستاذة بدرة معتصم–ميموني، فاطمة السبع، مصطفى ميموني ، وبن تمرة جاوي، في مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية 2008 خلص إلى النتائج الاتية:

- ثلاثة حالات من ضمن خمس (5/3) يتراوح سنّهم ما بين 15 و24 سنة.
- 5/1 سنّهم ما بين 25–35 سنة، وقرابة 12% من الحالات يتجاوز سنّهم 36 سنة.
- متوسط السنّ هو 24 سنة، 87% من محاولي الانتحار لا يتجاوز سنّهم 36 سنة.
- 65% منهم عزّاب و35% متزوّجون. (Moutassem-Mimouni, 2002-2007, p. 92)

يشير مصطفى ميموني الى نتائج تحليل المقابلات العديدة، التي أجريت مع محاولي الانتحار، بيّنت الصعوبات العلائقية ونقص الاتصال داخل الأسرة، ووجود مظاهر عنف بدرجات متفاوتة، وانطلاقا من تحليل المقابلات يمكننا تلخيص دوافع القيام بمحاولة الانتحار إلى:

- محاولات الانتحار باعتبارها رفضا لعادات عائلية خانقة ومدمّرة.
- محاولات الانتحار باعتبارها رفض للأدوار المفروضة من الأسرة على الفتاة خاصة، حيث تقول الفتاة المفحوصة "أنا قادرة على كلّ شيء إلا على نفسي"، وتفسّر فعلها كمحاولة "حماية حقوقها المهضومة".
- محاولات الانتحار باعتبارها رغبة في فرض فردانيتها ووجودها، إذ تقول فتاة لأمّها التي أرادت أن تزوّجها من رجل كبير سنا لا تريده وعارضت رغبتها في الزواج ، وإلا سأعيدها (محاولة الانتحار) مرّة أخرى وأموت".
- محاولات الانتحار وبوصفها تعبير عن يأس وآلام، أو شعورا بالعجز، وتارة شعور بالغضب، والرغبة في الانتقام من الظالم العنيف! في هذه الوضعية وجدنا حالة شاب متزوج وهو في صراع مع "أب جبّار" يعامله بقسوة واحتقار، وجدنا أيضا حالات نساء معنّفات من الزوج، أو من أهلهنّ. (بدرة، 2011، صفحة 74)

5- الملاحظة (ي)

(ي) تبلغ من العمر 16 سنة، قامت بشرب كميات كبيرة من مادة كيمائية خطيرة، بالقرب من شجرة الزيتون العتيقة، و التي تتوسط منزل العائلة، كان حادثا مؤلم ، و سريع، و شديد التأثير على النسق العائلي، اذ قمت بزيارة العائلة بطلب مني، بعد وساطات عديدة، تفهمت من خلالها رفض الاسرة التكلم عن هذه الحادثة، و مع ذلك حاولت قدر المستطاع الحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات، قصد توظيفها لغرض البحث.

عائلة ي الأساسية المتكونة من الأب في الستين من العمر، يعيش من الزراعة كعمل مورث منذ عدة أجيال، و يعتبر فخرا لهم، و الأم في خمسينات العمر، وأربعة أبناء أصغر من ي باعتبارها البنت الكبرى، الجد هو تقريبا المهيمن على قرارات العائلة المادية، و المعنوية، و الاجتماعية، و هو متزوج من امرأتين، و له ثمانية اطفال يعيشون تحت سقف واحد إذ توجد ثلاث عائلات، بالإضافة إلى عائلة أب ي.

عانت أم ي من عقم امتد لسنوات طويلة، أثمر بعد جهود طبية ولادة يسرا، و أحدث في نفس الوقت ظرف صراعي مع العائلة الكبيرة، التي تبحث عن الأحفاد الذكور، عاشت الأم فترة نفسية عصيبة، و تناولت عدة سلالات من الأدوية ذات الانتحاء النفسي، خصوصا لما أخذت الجدة ي لاهتمام بها بدافع أن أمها مريضة، لتحتفظ بها عندها و ترفض ارجاعها إلى حضن الأم الأصلي.

الأب يتخذ الصمت أداة تواصل معي، و يراقب زوجته و هي تتكلم عن ألم محفور في ذاكرة العائلة ككل، خصوصا لما تكلمت عن تشجيعها المستمر لاستقلال زوجها عن أبيه ماديا، تصف ذلك قائلة "حتى الملح و يشريه باباه....." كما سردت بتعجب حادثة وفاة الجدة أم الأب، و التي حضنت ي، و رجوع هذه الأخيرة إلى الأسرة المصغرة، و اعتبارها نقطة تحول، و ما رافقه ذلك من صعوبة في تكيف كلا الطرفين، خصوصا أن يسرا لم تحتمل أبدا العيش دون الجدة، و مع مرور الأيام و الأشهر، حافظت ي على انفصالها لدرجة أن الأم لم تجد أبدا الطريقة المناسبة لإعادة إدماجها العائلي، تصف ذلك بالمحزن و الأليم، كما أشارت أيضا إلى سلوكها المعادي لسلطة العائلة خصوصا الأب.

الخلاصة

تتميز هذه العائلة بكونها عائلة ممتدة موسعة، يمكن وصفها بالتقليدية، أي أسرة مكبرة تعيش ضمنها عائلة زواجية مصغرة تحت سقف واحد، لكنها تخضع إلى التسيير الرمزي و الفعلي من الجد باعتباره قائد الجماعة العائلية و تعتبر هذه الأسرة اكناتية، أو يصطلح عليها عائلة بطريقية حيث تخضع لنظم الزعامة الفردي.

المراهقة المنتحرة تموضعت ضمن العائلة البديلة، و العائلة الأصلية، بمعنى الأسرة الهوامية الخيالية، و الأسرة الحقيقة تحت مسمى التفاعل المتناقض، رغم أنها البنت الكبرى انجبت بعد انتظارات، و صراعات مؤلمة من الأم، و التي عايشت

من جديد ظرف اختطاف الامومة، بعد مرضها لفائدة الجدة، و التي استعادت دور الأم بمباركة الجد، لكن لجوء الأم لتصفية الخلافات الأسرية باستعمال ي، أدى إلى منحها ادوار تفوق قدراتها النفسية، إذا أصبحت مع الوقت ابنة الجدة المفضلة، مما أدى إلى تعميق غياب سلطة الوالدين، و اختلال الدور في تجاوز واضح للأجيال، تميز بعسر اشتغال العائلة بلغ اشده لما توفت الجدة، و عادت ي مجبرة إلى العائلة الأصلية، استعملت فيها كمريض معين، أو كبش فداء لأنها أعلنت الولاء للجدة، في اطار الصراع الممتدة بلغ اشده في فترة البلوغ و المراهقة وضعها امام حتمية تقمصية مزدوجة.

يمكن القول أن الإجابة على السؤال المتعلق بالمحددات العائلية لانتحار ي صعب للغاية، لشح الكثير من المعلومات و لأنها صادرة من طرف الأم فقط، لأن كل اطرف العائلة التزمت الصمت، و اعتبرت أنه محرم في الشريعة الاسلامية التكلم عن الموتى مع ذلك يمكن تحديد المحددات الآتية;

قصور السلطة الوالدية في إنتاج وضع مستقر يسهل على ي الانتقال بسهولة إلى سن الرشد، كما أن تفويض السلطة الابوية الاساسية للجد أنتج ابنة جديدة بمعايير مختلفة، غموض دور الوالدين، و عدم تناغم الأسرة ككل مع معاناة ي، و استعمالها كأداة لتأجيج الصراع العائلي، منحها أدوار تفوق قدرتها النفسية، أحدث استنزافا مستمرا و تحريفا ممنهجا للنهج التطوري نحو الرشد، تضاؤل الحدود بين الأجيال، و غياب تراتبية واضحة للآسرة أدى إلى استحالة الأبوة لدى ي، لأنها عاشت و كأنها في ظرف تبني مقنع مع أنها تعيش في نفس البيت مع الأم الأصلية، ادى الى تشكيل شجرة عائلية معكوسة، حيث الوالدان، والأجداد، والعمات والأعمام، كل حبهم على الحالة ي، و ما يتبعه ذلك من تغير في مراكز السلطة و الادوار الفعلية و الرمزية لهذه العائلة.

قائمة المراجع

المرنيسي.فاطمة. (2005). ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية. المغرب: المركز الثقافي العربي.

شبل م. (2007). الجنس والحريم روح السراري السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير. المغرب: افريقيا للنشر.

الرشود. عبد الله بن سعد .(2006). ظاهرة الانتحار, التشخيص و العلاج. السعودية: مركز الدراسات و البحوث.

ميموني معتصم بدرة. (2011). محاولات الانتحار وانتحار الشباب في وهران: يأس أو إثبات الذات؟ وهران: مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية.

Bibliographie

Apter, T. (2013). Les mères toxiques. Paris: Luelles Éditions.

Arènes, J. (1999). Y a-t-il encore un père à la maison ? Paris: Dunod.

BenKhalfat, F. (1969). À propos de 300 cas de tentative de suicide observés au centre hospitalier et universitaire d'Oran. d'Oran: Université d'Oran.

Bensmaïl, B. (1994). Pensée magique et thérapies traditionnelles, in: La psychiatrie aujourd'hui. Alger: OPU.

Bensmaïl.B. (1991). Suicides et conduites suicidaires en milieu magrébin. Bulletin de psychologie, 44(401).

Boucebci, M. (1978). Psychiatrie, société et développement : Algérie. Alger: Société nationale d'édition et de diffusion.

Boudarène, M. (2005). Le stress. Alger: Berti Editions.

Boutefnouchet, M. (2004). La société algérienne en transition. Alger: OPU.

Brusset, B. (1999). Névroses et états limites. Paris: Dunod.

Chabrol, H. (2004). Psychopathologie de l'adolescent. France: Belin Psychologie.

Chachoua, K. (2008). Le suicide en Algérie. Bibliothèque de la Méditerranée. Bibliothèque de la Méditerranée.

Davide, L. B. (2002). L'adolescence à risque. Paris: éditions Autrement.

De broca, A. (2001). Deuils et endeuilles. Paris: ELSEVIER-MASSON.

De Singly, F. (1993). Sociologie de la famille contemporaine. Paris: Nathan.

Drieu, D. (2016). Violence et institution. Paris: Dunod.

Duret, I. (2004). Enfance Adolescence. Paris: De Boeck.

Eiguer, A. (2004). L'Inconscient de la maison . paris: Dunod.

Eiguer, A. (2010). Blessures de la parenté et de la filiation, et leur évolution. paris: univercite de paris.

Eiguer, A. (2010). Corps en famille.Paris: In Press.

Gutton, P. (2002). Violence et adolescence. Paris: In Press.

Guyotat, J. (1994). Psychopathologie du lien de filiation. Canal Psy, 6-7.

Jeammet, P. (1994). Adolescence et processus de changement.

kacha, f. (2021). Parole de psychiatre. Alger: Koukou.

Moutassem-Mimouni, B. S. (2002-2007). Rapport de recherche: Suicide et tentatives de suicide des jeunes et prise en charge des suicidants. Oran: CRASC.

Neuburger, R. (2011). Le mythe familial (5ème éd). Paris: ESF.

Pommereau, X. (2016). Le goût du risque à l'adolescence. Paris: Albin Michel.

Théry, I. (1996). Le démariage. Paris: Odile Jacob.

Todd, E. (2011). L'origine des systèmes familiaux.Paris: Gallimard.

Watzlawick, P. (1979). Une logique de la communication.Paris: Puf.

Winnicott, D. W. (2005). Voler, détruire, l'appel au secours ou la tendance anti-sociale. Filigrane.